

تأملات في مقاربات المصالحة وعوائقها

دانيلا فيلا وديانا رويدا (Danielle Vella and Diana Rueda)

حددت الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين (JRS)، في سلسلة من مناقشات ورش العمل، العوائق المشتركة التي تحول دون حدوث المصالحة. فإحراز تقدم للتغلب على هذه العوائق يبدأ بالأفراد أنفسهم.

تُقمع وسائل الاحتجاج المشروعة وغير العنيفة بوحشية، أن يبرز استخدام العنف كملأذ أخير، فيحدث الانتقال من حالة الدفاع عن النفس إلى حالة الانتقام. وفي الحالات التي لا يتوافر فيها - في كثير من الأحيان - المساحة أو الموارد لعلاج الجروح، يمكن للألم غير المعالج أن يديم عجلة العنف: «فالألم الذي لا يُعالج يُثقل»^٢.

ولمواجهة هذه التحديات، تتكئف الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين (JRS) مع الوقائع المحلية، وتضع توقعات يمكن التحكم فيها. فنحن نستمع إلى أصوات متنوعة بصر دون أن نفرض وجهات نظرنا. ونحن نعترف كذلك بالدعوات إلى العدالة حتى لو كنا غير قادرين على دعم تحقيقها فعلياً. ونحن لا نذكر حتى كلمة «مصالحة» بحد ذاتها إذا كانت تُعتبر غير مفيدة أو ربما ستثير شكوك الآخرين.

تحاول الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين (JRS) العمل من خلال الحواجز مع الأفراد ومع المجتمعات، بدءاً من المستوى الشخصي. وهذه الرحلة هي رحلة غير خطية، لكن الثقة هي الوجهة النهائية. فكل خطوة، مهما كانت متواضعة، هي - بحد ذاتها - تمثل تقدماً. فنحن نبدأ بتشجيع الوعي الذاتي النقدي، ثم الماضي قديماً في تنمية قيم التسامح والاستعداد للاستماع إلى الآراء المعارضة واحترامها، ومع مرور الوقت، تطور مفهوم التعاطف.

المصالحة على أرض الواقع: تجربة فرق الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين (JRS)

في ميامار، عززت الجلسات التي عقدت من خلال الإنترنت والتي نظمتها فرق الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين JRS قناة المشاركين بأن التحولات الشخصية الداخلية ممكنة حتى في الحالات غير القابلة للتغيير. وقد قالت روزالين (Rosalyne)، وهي مديرة مكتب الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين في ذلك البلد: «أعتقد أن المصالحة قد تحدث على مستويات مختلفة. فنحن لا نستطيع التأثير على أشياء خارجة عن سيطرتنا. وبتركيزنا على نقاط معينة مثل الرعاية الذاتية وفهم مشاعري

ترتبط مفاهيم المصالحة والتماسك الاجتماعي بعضها ببعض بشكل وثيق: فالمصالحة هي عملية «إعادة صياغة العلاقات الصحيحة» مع الذات ومع الآخرين^١، والتماسك الاجتماعي هو المثبت الذي يربط هذه العلاقات معاً. وكلاهما يستلزم توافر مجموعة معقدة، وأحياناً متباينة، من الأهداف التي تشمل السلام والوثام وكذلك العدالة والمساءلة.

تبنيت الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين (JRS)، في عام ٢٠١٨، مبدأ «المصالحة» كركيزة لإطارها الاستراتيجي. ويعكس هذا الإطار المفاهيمي رؤية جون بول ليدرأخ (John Paul Lederach) للمصالحة كمساحة لقيم الحقيقة والرحمة والعدالة والسلام^٢. إن التركيز على مبدأ الاعتف هو ما يدعم هذا الإطار، كما هو الحال مع المبادئ التوجيهية التي تسلط الضوء على المشاركة العادلة والعدالة التصالحية وكذلك القيمة الإنسانية المشتركة عالمياً.

تتنازع العديد من المجتمعات التي نعمل معها، والتي تعاني ابتداء من عنف شديد أو تلك التي تقدم ملاذاً للنازحين، حول ما إذا كانت المصالحة ممكنة أصلاً. وعلى الرغم من أن كل سياق هو حالة فريدة بحد ذاته، فقد ظهرت خلال مناقشات ورشة عمل الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين (JRS) عوائق للمصالحة مشتركة بين الحالات كلها.

العوائق المشتركة للمصالحة

يبرز أحد العوائق عندما تُستغل اختلافات الهوية وعند اختلال ميزان القوة، ما يؤدي إلى تولد الشعور بـ «التفوق مقابل الدونية»، وهو الشعور الذي يتسبب في التهميش والتمييز والقمع. فينتج عن هذا انقسام عنيف بين الجماعات، تعززه روايات تجرد الآخرين من إنسانيتهم، لا بل وشيظنتهم.

أما العائق الآخر للمصالحة فهو الإحباط من الشعور بالعجز عن وقف العنف والظلم. فمن المتوقع، عندما

مساحة آمنة ومشاركة مع مجموعة من القواعد الأساسية. فتشارك الجميع في محاولة فهم كيفية تأثير النزاع عليهم شخصيًا». «أدركنا بأنه في حين أن كل فرد وكل تجربة هي حالة فريدة من نوعها، إلا أن هناك العديد من المشاعر المشتركة، وخاصة الشعور بالخوف والقلق».

لقد أضرط مليون (Million)، مع آخرين كثيرين، إلى مغادرة تيغاري Tigray بسبب هويته، وقال في هذا السياق: «عندما حاولنا المغادرة، خاطر مسؤول من جبهة تحرير شعب تيغاري (TPLF) كان يعرفنا من خلال عملنا- بنفسه من أجل مساعدتنا. لا يمكننا التعميم على الأفراد أو الجماعات. فهناك أناس طيبون في كل مكان. لكن هويتنا وخرائتنا وتصوراتنا هي التي تخلق واقعنا. ويجب علينا أن نغلب قيمة إنسانيتنا المشتركة على اختلافاتنا».

عملت كلودين (Claudine)، وهي منسقة إعادة دمج الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين JRS في بوروندي، سابقًا في شمال أوغندا مع لاجئي جنوب السودان ومع المجتمعات المحلية. وقالت: «لقد جمعنا مجموعة من الشباب من اللاجئين والمجتمعات المضيفة من أعراق مختلفة معا. فلاحظنا

وإدارتها والاستجابة بشكل جيد للحوادث، فذلك ما ساعدني كثيرًا في عملي وفي التعامل مع الآخرين».

عند إمعان التفكير في حالاتهم، نتفهم أن فرقنا تتأثر ذاتها بالتوترات المجتمعية. ففي شمال إثيوبيا، قال مليون (Million)، وهو منسق المصالحة في فريق الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين JRS، بأن السياسة والعرق كان لهما تأثير طويل على ديناميكيات عمل الفريق. ويذكر مليون (Million) قائلاً: «كنا نقوم بتمارين لبناء الفريق وننظم جلسات حول المصالحة، كانت جميعها تُحدث تغييرًا إيجابيًا». وأضاف قائلاً: «كنا نطبخ ونأكل معًا وكنا نشاهد مصادر إعلامية مماثلة». ولكن تقلصت هذه الثقة المتنامية عندما اندلعت الحرب في تيغاري (Tigray) بين قوات الأمن الإثيوبية وجبهة تحرير شعب تيغاري (TPLF). وقال مليون (Million): «لقد كان لوسائل الإعلام والدعاية الإخبارية وسياسات الهوية والتاريخ تأثير على العلاقات بين أفراد المجموعة، فانقسمت المجموعة إلى قسمين».

حضر الفريق، بعد ذلك، اجتماعًا لمدة ثلاثة أيام بعيدًا عن منطقة النزاع. وتابع مليون (Million) قائلاً: «لقد أنشأنا



المشكورون في ورشة عمل المصالحة JRS في أديجومي (Adjumani)، شمال أوغندا، يُشكلون دائرة للتدبير في مناقشتهم خلال الجلسة الختامية (المصدر: ديانا م. روديا فارغاس Diana M. Rueda Vargas)

وتجديد. ونحن نحتاج إلى معرفة كيفية إصلاح الكسور حتى نتمكن من تحمل خلافات بعضنا البعض دون أن نتقبل الظلم والأعمال الإنسانية وبالتالي أن نرد بدون عنف أو انتقام».

دانيلا فيلا danielle.vella@jrs.net

مديرة برنامج المصالحة الدولية

وديانا رويدا diana.rueda@jrs.net

مسؤولة مصالحة

الهيئة اليسوعية لخدمة اللاجئين

١. يجد هذا التعريف النسبي للمصالحة تبريراً وترويجاً في الأفهام الدينية والأفهام العلمانية للمصالحة. وتؤكد الكنيسة الكاثوليكية على مبدأ «العلاقات الصحيحة» - وهو فهم ما انفكت تدرسه جمعية يسوع (اليسوعيون) التي تتحدث عن العلاقات مع الله، ومع الذات، ومع الآخرين والبيئة
٢. ليديراش جي بي (1999) رحلة المصالحة، دار هيرالد للنشر
٣. روه آر (2016). ربيع بداخلنا: كتاب التأملات اليومية، دار CAC للنشر

جلسة تلو جلسة، عملية تكوّن فريق كامل. في البداية، لم يشعروا بالراحة تجاه بعضهم البعض وكان يعترتهم الخوف، لكن هذا تغير مع مرور الوقت، وابتأوا يبذلون اهتماماً ببعضهم البعض. وعندما أصيب شاب في اشتباك كبير بين المجتمع المضيف واللاجئين، بقيت المجموعة تطلع بعضها البعض على تفاصيل الحادث «». وتقول كلودين (Claudine) إنها قد شهدت بنفسها بأن «التسامح يتطور إلى القبول، وعدم الثقة إلى ثقة». وتابعت القول: «قال الشباب، بعد الاشتباك، إنه لن يتم استغلالهم بعد الآن بسبب روايات المسنين. لقد تمكن أولئك الشباب من خلال الاستماع إلى بعضهم البعض من تغيير وجهات نظرهم تجاه بعضهم البعض».

توضح هذه التجارب التقدم الذي تم تحقيقه في رحلات تجارب المصالحة المستمرة. وقد عرّفتها روزالين (Rosalyn) من ميامار بهذه الطريقة: «عندما تنكسر العلاقات، لا تلتئم بنسبة ١٠٠٪. لكن قد تحتاج العلاقات إلى إعادة تأهيل